العودة إلى الماضي في الوعي الجمعي الإيراني

10 مرداد 1405

في هذه المقالة، يحلل آرفين بويان ظاهرة «العودة إلى الماضي» كعلامة على أزمة عميقة في المخيال السياسي للمجتمع الإيراني. وهو يجادل بأن الميل الواسع نحو ما يُسمى بالفترات «الذهبية» ــ من إيران القديمة إلى إعادة البناء الحنيني لعصر بهلوي أو صدر الإسلام ــ ليس مجرد تفضيل أيديولوجي، بل هو متجذر في التجربة المتراكمة للهزيمة وعدم الاستقرار وانسداد أفق المستقبل. وبحسب تعبير النص، يتفاقم هذا الوضع عندما يعيد المجتمع بناء الماضي كملاذ نفسي في غياب المؤسسات المستقرة وآفاق الاعتماد عليها.

يُظهر بويان، مستعيراً مقاربات علم النفس الاجتماعي ومفهوم الصدمة الجمعية، كيف تؤدي الأزمات الاقتصادية والسياسية المزمنة إلى تعليق الفاعلية الجمعية. وفي مثل هذه الظروف، لا تصبح العودة إلى الماضي نوعاً من التهدئة الرمزية فحسب، بل آلية للهروب من مسؤولية صنع المستقبل. وكما ورد في النص:

> *«المجتمع الذي يرى النجاة في «الأمس»، يعجز عن تصميم «الغد».*

يكشف هذا الاقتباس عن الجوهر النقدي للمقال: الحنين (النستولوجيا)، إن لم يتحول إلى نقد تاريخي، فسيؤدي إلى دورة التكرار.

وفي الختام، لا يرى الكاتب طريق الخلاص في إنكار الماضي، بل في مواجهته نقدياً. وهو يؤكد أن القضية الأساسية ليست تقييم ما إذا كان الماضي جيداً أم سيئاً، بل فهم الحاجة النفسية والسياسية إليه. إن الانتقال من «سيادة الفرد» إلى «منظومة العقل»، وتعزيز المؤسسات المسؤولة ووسائط الإعلام التعددية، وتجاوز محور الشخصانية، يتم تقديمها كشروط مسبقة لتحويل «الرعية السلبية» إلى «مواطن فاعل». وفي هذا الإطار، فإن إعادة بناء المستقبل لا ممكنة إلا عبر بناء المؤسسات واستعادة الفاعلية الجمعية.